المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 20-06-2007 العـــدد : 16128
الصفحـات : 18 المسلسل : 156

ملف صحفي

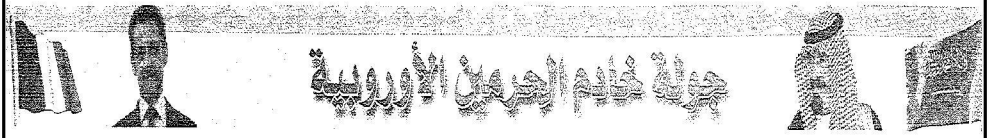

المملكة وفرنسا

علاقات تاريخية تمتد في جذورها إلى الدولة السعودية الأولى

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 20-06-2007 العـــدد : 16128
الصفحـات : 18 المسلسل : 156

إبراهيم عباس

أطلقت حملة نابليون بذور المعرفة الحديثة للغرب عن العرب . وحيث اعتبرها البعض أول خطوة منهجية تقوم بها دولة أوروبية للتواصل مع العرب، وبالأخص مع الجزيرة العربية. ففي عام ١٧٩٥ أنشئ المعهد الوطني للغات والحضارات الشرقية وأخذ نابليون معه كوكبة من علماء فرنسا. لإجراء البحوث والدراسات أينما حلت جيوشه.وكان من الطبيعي أن تلفت الجزيرة العربية انتباه نابليون . إذ كانت الدعوة الوهابية والدولة السعودية الأولى في أوج قوتها. وقد اعتبر البعض اللقاء الذي تم في الدرعية عام ١٨٩٩ بين المدعو رينو Renaud والإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود لضمان سلامة الطريق بين البصرة وحلب دليلا واضحا على مدى انتشار سيادة آل سعود بين العراق وسورية.

وعبر نابليون عن اهتمامه بالجزيرة العربية بشكل أكبر عندما أرسل إلى الدرعية موفداً عنه اسمه جول تيدور لاسكاريس لمقابلة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود(سعود الكبير) في الدرعية . الذي أجرى معه محادثات تمحورت حول مساعدة نابليون ضد البريطانيين كي تتمكن فرنسا من الوصول إلى الهند وضرب النفوذ البريطاني فيها . وقد أظهر الإمام سعود الذي لم يكن يخفي إعجابه بشخصية نابليون (أبو نار أو بونار كما كان يسمى في جزيرة العرب آنذاك !) وموهبته العسكرية. ترحيبه البالغ بالبعثة . ويؤكد لامارتين (الأديب والشاعر الفرنسي المشهور) في كتابه (رحلة إلى الشرق) أن الإمام سعود . أو ابنه الإمام عبد الله . كان مستعدًا لقبول العرض الفرنسي لمحاربة النفوذ البريطاني . وعندما أحست بريطانيا بنية الفرنسيين التقرب من السعوديين . أرسلت بدورها بعثة إلى الدرعية . وعرضت على الإمام سعود اعتراف الباب العالي بالاستقلال السعودي شريطة ألا يقوم بمهاجمة أملاك الدولة العثمانية خارج الجزيرة العربية وبخاصة ولاية الشام . وتؤكد المصادر التاريخية أن الإمام سعود (الكبير) فضل الانضمام إلى جانب الفرنسيين . فهاجم ولاية الشام واقترب من دمشق . ولكن فشل نابليون في غزو روسيا عام ١٨١٢ أدى إلى إنهاء التحالف السعودي الفرنسي .

وأتبع نابليون لاسكاريس بموفد آخر. هو دومنغو باديا ليبلغ الذي وصل إلى مكة المكرمة حاجاً عام ١٨٠٥ باسم علي بك عباسي Ali Bik Abbassi. وكانت مكة المكرمة قد دانت للدولة السعودية حينئذ.

وقد كتب الرحالة الفرنسيين في تلك الحقبة عديد الكتب عن الجزيرة العربية والوهابية وكل هؤلاء دونوا رحلاتهم، وقد نشر بعض تلك الكتب والبعض الآخر لا يزال مدونًا. ويذكر الكاتب الفرنسي جان جاك بيربي في كتابه (جزيرة العرب) أن الملك عبد العزيز أشار إلى تبادل الرسائل بين جده (الإمام سعود) . ونابليون الأول أثناء حملته على مصر.

ويعتبرلويس ألكسندر أوليفيه دو كورانسيز الذي رافق البعثة العلمية لنابليون من أبرز الرحالة الفرنسيين الذين كتبوا حول هذا الموضوع . وذكر في كتابه « تاريخ الوهابيين منذ النشأة حتى تاريخ ١٨٠٩» في المقدمة: «أسم الوهابيين معروف اليوم جيدًا في أوروبا. ويبدو أنه مقدر لهؤلاء العرب أن يؤدوا دوراً

المصـــــدر : المدينة المنورة
التـــاريخ : 20-06-2007 العـــدد : 16128
الصفحـات : 18 المسلسل : 156

عظيماً في مجريات التاريخ. وإذا تحقق لهم ذلك. فإنه من الأهمية بمكان التعريف بهم. خصوصاً أن مقومات الأمة العظيمة موجودة في بدايتها».

وقد كان للغزو الفرنسي للجزائرعام ١٨٣٠ . ثم تونس والمغرب بالغ الأثر في العلاقة بين الطرفين خاصة لجهة طول الفترة الزمنية التي استغرقتها الاحتلال. وعلى الرغم من قيام علاقات دبلوماسية بين السعودية واليمن. وكانتا الدولتين المستقلتين في الجزيرة العربية آنذاك وفرنسا - إلا أن الشعور الوطني المتنامي لدى المواطن العربي دفع بالحكومات العربية لتبني دعوة استقلال هذه الشعوب.وبالرغم من ذلك كان الملك عبد العزيز يسعى إلى مد جسور الصداقة مع باريس لعدة أسباب يأتي في مقدمتها بطبيعة الحال التدخل لدى فرنسا لإنهاء احتلالها لدول المغرب العربي . كما أنه كان يدرك أهمية فرنسا كونها تمثل بلاداً إسلامية كثيرة (سوريا ولبنان بجانب المغرب العربي) . وقد تمثل ذلك بعقد المملكة العديد من الاتفاقيات والمعاهدات مع فرنسا . بأسم لبنان وسوريا . ونيابة عنهما .

وكغيرها من العلاقات الدولية . مرت العلاقات السعودية الفرنسية بموجة انحسار . لكن المراقب لتلك العلاقات لابد وأن يلاحظ أن الانحسار في العلاقات بين البلدين لم يكن ليدوم لفترة طويلة . وأن الغيوم كانت لا تلبث وأن تتبدد في سماء تلك العلاقات . وبحيث يمكن التقرير بأنه لم تقع خلافات جوهرية بين الدولتين باستثناء فترات قصيرة . فعندما عين د. رشاد فرعون سفيرًا في باريس . رفضت فرنسا قبول أوراق اعتماده باعتباره من السوريين الذين تمردوا على الاحتلال الفرنسي لسوريا . فهرب منهم واللجأ إلى الملك عبد العزيز مستجيرًا - وهو موقف تكرر كثيرًا : رشيد عالي الكيلاني . وعبد القادر الحسيني . وسلطان الأطرش—كلهم لجأوا إلى المملكة مستجيرين بعبد العزيز فأجابهم وأكرمهم — مما جعل الحكومة الفرنسية تصدر حكمها عليه بالسجن . وتعتبره ضمن المطلوبين السياسيين . وبناءً عليه رفضت فرنسا قبوله سفيرًا عندها . وقد أعاد عبد العزيز أوراق اعتماد د. فرعون . مؤكدًا على أن لفرنسا أن تقبل أحد الخيارين : إما القبول بفرعون سفيرًا . وإما أن لا يأتيها سفيرًا منه إلى الأبد . وقد وافقت فرنسا على القبول بفرعون سفيرًا للمملكة لديها بعد إصرار الملك عبد العزيز. وظل سفيرًا فيها لعدة سنوات. إلى أن تولى منصب وزير الصحة.

وعندما اشتركت فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ . وبدأت حرب الإبادة ضد الشعب العربي الجزائري. قطعت المملكة علاقاتها بها تضامنًا مع مصر . واحتجاجًا على ممارساتها في الجزائر وبعد أن انتهت أزمة العدوان على مصر ورفعت فرنسا يدها عن الشعب الجزائري . لم يعد هنالك ما يحول دون استئناف العلاقات بين البلدين . والتي ظلت تزداد قوة ورسوخًا بعد ذلك . خاصة بعد الموقف المشرف الذي اتخذه الرئيس شارل ديجول من قضية النزاع العربي الإسرائيلي على إثر العدوان الإسرائيلي على العرب عام ١٩٦٧ . لتسير في خط بياني متصاعد منذ ذلك التاريخ . وحيث يعتقد المراقبون أن زيارة خادم الحرمين تعتبر تتويجًا لعلاقة الشراكة الاستراتيجية بين البلدين الصديقين.